

الحج من القرآن

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [المائدة-97]

كما رأينا فإن الله سبحانه و تعالى يقول لنا بكل وضوح أن الكعبة هي البيت الحرام كله و ليست مكعب حجمه ٨ في ١٠ متر. ومثل أي صنم نرى بأعيننا الناس يتمسحون في المكعب ويقبلونه و يدوسون فوق بعضهم البعض لكي يلامسونه. وبالتالي المكعب الذي يسمى باطلا بالكعبة هو في الواقع رجس من الأوثان و بالتأكيد هذا ليس الحج الحقيقي:

ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ [الحج-30-31]

أيضا كلنا سمعنا الله سبحانه و تعالى يقول بكل وضوح ان الحج أشهر معلومات (جمع) وليس شهر واحد:

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ [البقرة-197]

كما رأينا في موضوع الصلاة فإنه لكي نفهم أي شيء يجب أن نفهم أولاً الهدف منه. عندما نعرف الهدف فسوف يمكن أن نقيس بوضوح إن كانت الإجابات على أسئلة "كيف" و "متى" و "أين" صحيحة أم خاطئة. الإجابة التي تتفق مع الهدف وتساعد على الوصول إليه تكون صحيحة أما خلاف ذلك فلا فائدة منه إلا تضليل الناس و إبعادهم عن الهدف. الهدف الرئيسي من الحج واضح من الآية ٢٨-الحج:

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ [الحج-28]

الآية الكريمة تستخدم حرف لام التعليل لتوضيح أن الهدف الأساسي الأول هو: المنفعة للناس.

الهدف الأساسي الثاني هو: ذكر اسم الله على الأنعام و الأكل منها و إطعام البائس الفقير.

إذا بحثنا قليلاً فسوف نجد أن ٨٠٪ من آيات الحج تتحدث عن البدن أو الأنعام أو الهدى. وهذا بالطبع مرتبط مباشرةً بالهدف الأساسي للحج. ماذا نسمي شيئاً ٨٠٪ منه له علاقة بإطعام الناس و خاصة الفقراء منهم؟ هذا ما نسميه مائدة الرحمن أو مائدة الرحمن أو العيد. والحج لم يتم اختراعه في عهد الرسول ولكنه كان معروفاً عند أهل الكتاب منذ أيام النبي إبراهيم. و لذلك إذا بحثنا عن معنى كلمة "حج" عند أهل الكتاب في العهد القديم سنجد أن معناها "عيد" أو "مأدبة الرب" و هو ما يتفق مع الهدف من الحج في القرآن.

وإذا بحثنا سوف نجد أن الصفا والمروة أيضاً مرتبطان مباشرةً بالهدف الأساسي وهو إطعام الناس والفقراء.

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا
[البقرة-158]

الآية الكريمة تقول إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ. والآية 36 من سورة الحج تبين لنا معنى شَعَائِرِ اللَّهِ:

وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ [الحج-36]

الواضح أن من شعائر الله هي البدن (أي الأنعام) التي سوف نأكل منها ونطعم الآخرين.

فبالنسبة للصفا هذا ما تقوله معاجم اللغة العربية الفصحى:

هي الناقة الغزيرة، وكذلك الشاة. ويقال: ما كانت الناقة والشاة صَفِيًّا ولقد صَفَّتْ تَصْفُو، وكذلك الإبل.

أما بالنسبة للمروة:

المَرْوَة الحجر الأبيض الهَشُّ يكون فيه النار.
هي هذه القَدَاحَات التي يخرج منها النار.

إِذَا الصَّفَا هي الناقةُ أو الشاةُ (أي البدن أو الأنعام) وَالْمَرْوَة هي ما يتم طهيها عليه وكما هو واضح فإن الصَّفَا وَالْمَرْوَة لها علاقة مباشرة بأهداف الحج التي هي ذكر اسم الله على الأنعام والأكل منها وإطعام الآخرين.

الآن وقد فهمنا معنى الصَّفَا وَالْمَرْوَة المتصلين مباشرة بأهداف الحج تعال نرى معنى الطواف:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [النور-58]

نرى هنا بكل وضوح أن الطواف لا يعني بأي حال من الأحوال الدوران سبع مرات حول أي شيء وإنما يعني "كثرة التردد" كما أشار الدكتور محمد حسن الحمصي في كتاب مفردات القرآن. ولذلك حين نقراً في الجريدة ان السيد المحافظ طاف بالحي أو بالمصنع لا يوجد إنسان يظن ولو للحظة ان هذا معناه انه لف سبع مرات حول الحي أو المصنع أو هرول سبع مرات بينهم. ولكن هذا معناه ان المحافظ تردد عليه وعابنه وجرب بنفسه ما يحدث فيه.

وزيادة في التأكيد نرى معنى التردد على شخص بغرض تقديم ما يتم الطواف به و هو الشراب في الآيات التالية:

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ [الواقعة-17-18]

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ [الطور-24]

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا [الإنسان-19]

إذا نرجع للآية الكريمة:

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا
[البقرة-158]

هذا يعني أن البدن أو الأنعام وما يتم طهيها عليه لا جناح على من حج البيت أو اعتمر أن
يكثر من التردد عليها ليأكل منها ويقدمها للآخرين ويطعمهم. وذلك كما رأينا هو أحد هدفي
الحج.

الله سبحانه وتعالى لا يستخدم أي كلام عفوي غير مترابط. حين يقول الله إن الصفا والمروة
من شعائر الله ثم يردد نفس الوصف حرفياً ويقول إن البدن (أي الأنعام) من شعائر الله إذاً هذا
ليس مجرد صدفة عشوائية ولكن الله يبين لنا أن هناك علاقة مؤكدة ما بين الصفا والمروة من
ناحية والبدن من ناحية أخرى. إذن فإن المعنى الصحيح متفق مع كل الآيات ومتصل بشكل
مباشر بالهدف من الحج.

ماذا عن المشعر الحرام؟

ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر
الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين [البقرة-198]

كما رأينا فإن البدن (أي الأنعام) من شعائر الله و الهدف من الحج هو ذكر الله عليها. إذا
المشعر الحرام هو المكان الآمن الذي نذكر فيه إسم الله على شعائر الله ونأكل منها و نطعم
المحتاج.

الحج أو العيد ليس حكراً على فئة أو ملة معينة من الناس دون الأخرى. و لكن هو وسيلة
لدعوة كل الناس:

وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق [الحج-27]

وبالطبع وجود ناس من كل مكان في الحج يخلق فرصاً كثيرة للمنفعة من ابتغاء فضل الله من
خلال تبادل التجارة والتكنولوجيا والتعارف بين الشعوب وبالحضارات:

ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر
الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين [البقرة-198]

يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير [الحجرات-13]

وهذا ما يؤكد قاموس لسان العرب وهو يقول في معنى عرفات:

سمي عَرَفَةً لَأَنَّ النَّاسَ يَتَعَارَفُونَ بِهِ.

قِيلَ : سُمِّيَ عَرَفَةً لِأَنَّ النَّاسَ يَتَعَارَفُونَ بِهِ

صورة من قاموس لسان العرب في معنى لفظ "عرفة"

إذا فهذا له علاقة مباشرة بأحد السببين الأساسيين للحج وهو المنفعة للناس.

بعد إكمال الهدفين الرئيسيين من الحج نأتي للخطوات التالية من الآية ٢٩ من سورة الحج:

ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ [الحج-29]

إذا فبعد المنفعة و إطعام الناس والفقراء يمكن الوفي بالنذر وأخيراً الطواف بالبيت. و كما أشرت في السابق فإن الواضح من القرآن أن الطواف بشيء لايعني الدوران ٧ مرات حوله وإنما يعني تقديم ما يتم الطواف به. و في هذه الحالة ما يتم تقديمه للناس هو البيت أي المكان الذي لا يوجد فيه شرك. والناس يترددون على البيت لأن فيه آيات بينات وهي مقام إبراهيم، أي منزلة إبراهيم وهي أنه كان حنيفاً لا يشرك بالله. وحين نتخذ من الحج وسيلة لكي نقدم للناس ذلك النظام المجتمعي المسلم (أي المفعِل للسلام) الغير مشرك فهذا آية لهم لأنهم سوف يرون آيات الله تطبق فعلياً وسوف يكون هذا المجتمع قدوة ونموذجاً جيداً لهم يجتهدون لكي يكونوا مجتمعاً مثله.

وهذا يأتي بنا إلى السؤال عن "أين"، أو مكان الحج. بالطبع مكان الحج هو مكان البيت. وكما رأينا لاحقاً فإن الله سبحانه وتعالى حدد لنا بكل وضوح مكان البيت الحقيقي:

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ [الحج-26]

الآية تقول بكل وضوح إن مكان البيت هو الذي لا يشرك فيه بالله. إذاً فمكان البيت هو أي مكان لا يوجد به شرك من تقديس للحجارة أو الأشخاص الأحياء منهم أو الأموات ، إلى آخره.

في ختام هذا الموضوع تعالوا نلخص الحج من خلال الآيات التالية:

**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ
فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ [آل عمران-96-97]**

باختصار الحج وسيلة لدعوة كل الناس وليس ملة معينة فقط إلى مكان آمن وليس فيه شرك. وهذه الدعوة ليشهدوا منافع لهم ويأكلوا ويطعموا المحتاج. وفي هذا المكان الذي يتخذ الناس فيه النبي إبراهيم اسوة سيرى الناس آيات مقام إبراهيم، أي منزلة إبراهيم وهي أنه كان حنيفاً لا يشرك بالله. وعلى ذلك من يريد أن يأذن في الناس بالحج عليه أن يدعو الناس إلى أي مكان ليس به شرك ليشهدوا منافع لهم من خلال التعارف ويأكلوا ويطعموا المحتاج بدون مقابل. وإبراهيم أسس أول بيت ليس فيه شرك ومعنى ذلك ان هناك بيوت كثيرة بعده. ولذلك الله يقول أن على الناس حج البيت وليس حج أول بيت لأن المكان مرتبط بعدم الشرك وليس بالموقع الجغرافي.

السؤال المتبقي هو "متى الحج؟"

الله سبحانه و تعالى يقول بكل وضوح ان الحج أشهر معلومات (جمع) وليس شهر واحد:

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ [البقرة-197]

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ فُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَاتَّقَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [البقرة-189]

الآية الكريمة تقول بكل وضوح أن الأهلة هي التي نوقت بها للحج. رغم ذلك فإن ما يسمى باطلا بالحج حالياً يبدأ في ٨ من ذي الحجة وليس مع الهلال، وينتهي في ١٣ من ذي الحجة وليس مع الهلال. إذاً التوقيت الحالي منكر لكلام الله ولا يتبعه بل ويتجاهله تماماً.